سينما

إنّها ساندرا هولر

تمثيلٌ وتاريخٌ ومسائل عدّة

فيلمان للألمانية ساندرا هولر يُثيران نقاشات عدّة في النقد والصحافة السينمائيَّين لما فيهما من قراءات بصرية لوقائع وحالات وانفعالات

نديم جرجوره

فيلمان جديدان لها يفوزان بجائزتين أساسيتين، في الدورة الـ76 (16 . 27 مايو/أيار 2023) لمهرجان «كانّ» السينمائي: «تشريح سقوط» للفرنسية جوستين تريّيه، الفائز بـ«السعفة الذهبية»، و«منطقة الاهتمام» للبريطاني جوناثان غلايزر (الجائزة الكبرى). عن دورها في الفيلم الأول، تنال أكثر من ترشيح في فئة أفضل ممثلة، أبرزها «غولدن غلوب» الأميركية (النسخة 81، في 7 يناير/كانون الثاني 2024)، و«بافتا» البريطانية (النسخة 77، في 18 فبراير/شباط 2024)، و«أوسكار» الهوليوودية (النسخة 96، في 10 مارس/ آذار 2024).

إنّها الألمانية ساندرا هولر (1978)، التي تُذهِل مُشاهدي Requiem ومُشاهداته، الذي يُخرجه الألماني هانس . كريستيان شميت عام 2006، الفائزة بفضله بجائزة «الدبّ الفضي لأفضل ممثلة»، في الدورة الـ56 (9 . 19 فبراير/شباط 2006) لـ«مهرجان برلين السينمائي»؛ تماماً كما تفعل في مهرجان «كانّ»، مع العرض الدولي الأول لـ«تونِي إردمان» لمارِن أدي، في دورته الـ69 (11 . 22 مايو/أيار 2016)، «المنسيّ بشكل مُخجِل من لائحة الجوائز»، كما في تقديم حوارٍ معها لفابيان برادْفِر، منشور في الملحق الفني الأسبوعي لـ«لو سوار» البلجيكية، في 31 يناير/كانون الثاني 2024. رغم هذا التجاهل غير المُبرَّر، بحسب نقّاد سينمائيين عديدين، يُعوِّض الفيلم «هزيمته» بحصوله على نجاحين مقبولين، نقدياً وجماهيرياً.

بمناسبة بدء العروض التجارية في دول أوروبية، في 31 يناير/كانون الثاني الماضي (فرنسا وبلجيكا) و2 فبراير/ شباط الجاري (المملكة المتحدة)، نشرت «لو سوار» (العدد نفسه لملحقها الفني الأسبوعي) حواراً مع هولر، يتضمّن كلاماً مُثيراً لنقاش نقدي متنوّع المحتويات، كعلاقة الممثلِ . الممثلة بالشخصية التي يؤدّيها، خاصة إنْ تكن الشخصية «شريرة»، وللممثل . الممثلة موقف أخلاقي رافض لها؛ وكيفية تمثيل شخصية كهذه؛ وارتباطها بهدويغ هوس، زوجة الضابط النازي رودولف هوس (كريستيان فْريدل)، في «منطقة الاهتمام» («العربي الجديد»، 14 يونيو/حزيران 2023).

بعد قولها إنّ هناك أمثلة عدّة في التاريخ السينمائي، «نُشاهِد فيها ممثلاً يحاول أنسنة شخصية شريرة أو ماكيافيلية»، تؤكّد هولر أنّ هذه الطريقة غير مقبولة منها: «عليّ البحث عن وسيلة تحول دون أنْ أفعل هذا. عليّ التعامل مع هذه الشخصية بشكل مختلف، من الخارج، مع مسافة (بيني وبينها)». تُضيف أنّها غير عارفة إنْ أمكنها النجاح في نقل ما يريد جوناثان أنْ يرويه عبر السينما: «بهذا المعنى، هناك مخاطرة في العمل في فيلمٍ يتناول المحرقة (...)».

> ترفض أنسنة شخصية شريرة كالمرأة النازية لكنها تمثلها

ردّاً على سؤال عمّا إذا لم تكن راغبة في التحدّث مثل تلك المرأة الألمانية المتزوّجة ضابطاً نازياً، زمن الحرب العالمية الثانية، تُجيب بأنّها غير عاملةٍ أي جهدٍ من أجل هذا، مُشيرةً إلى وجود أشرطةٍ صوتية مُسجَّلة في المحاكمة، «المُقامة في فرانكفورت، كما أظنّ»، يُسمع فيها صوت هدويغ هوس: «يريد جوناثان أنْ أستمع إلى 5 دقائق فقط من تلك الأشرطة»، لكنّها تُقرّر فوراً أنّها لن تلجأ إلى صوتها ونبرتها: «هذا من شأنه أنْ يُشتّت انتباهي»، مُضيفةً أنّ هذه «حيلة تقنية، غير راغبة في تجربتها». تسألها برادْفِر: «هذه الشخصية التي تظهر أمّاً صالحة وزوجة صالحة، هي أيضاً، وبالتحديد، وحشاً فاشياً»، فتردّ هولر: «في الواقع، أنا غير عارفة إنْ كانت هذه أمّاً صالحة وزوجة صالحة. أنا غير قادرة على قول هذا. أساساً، ماذا يعني (تعبير) أمّ صالحة؟ زوجة صالحة؟ بالنسبة إلى البعض، هي غير صالحة لأنّها غير مُطيعة. في لحظةٍ ما، يُمكننا القول إنّنا أمام ثنائيّ عصريّ، يتناقشان عن الأمور التي يجب القيام بها، وعمّا يجب أنْ يفعلاه، وعن أهدافهما، وعن كيفية تربية أطفالهما من دون إظهار عنفٍ، وهذا، في تلك الفترة، غير معتاد».

تُضيف ساندرا هولر أنّ هذا الثنائي، الظاهر «أمامنا» بهذه الطريقة، يوافقان في الوقت نفسه «على إعدام ملايين الناس». ترى أنّ «هذا التناقض موجودٌ دائماً، ويقول الكثير بخصوص الشرط الإنساني، عنّا، وعمّا نحن قادرون على تحقيقه اليوم». بالنسبة إليها، جوناثان غلايزر غير راغب في إنجاز فيلمٍ تاريخي، بل فيلماً يقولُ «أشياء عنّا نحن، في راهننا، عن انقساماتنا وجدراننا الصغيرة، وعن حدائقنا. أعتقد أنّه يريد أنْ يقول أيضاً إنّ هذا كلّه غير منتهٍ».

في الحوار نفسه، كلامٌ عن مدى إمكانية أنْ يكون اختيار جوناثان غلايزر الممثلة، لكونها ألمانية، فتؤكّد هولر ذلك، إضافة إلى تقديره إياها كممثلة، وتقديره فريدل كممثل أيضاً: «يُريد (غلايزر) قيادتنا في هذه العملية الطويلة، قرب معسكر الاعتقال هذا (المقصود به معتقل أوشفيتز . المحرّر)، لأنّ وعينا الشعبي مرتبطٌ، بشكل واضح، بهذا الجزء من التاريخ. هناك شعور بالذنب أيضاً. هؤلاء الأشخاص لا يشعرون بأيّ شيء. يعلم غلايزر جيداً (مدى) تأثير هذه العملية على الأشخاص الذين كنّا عليهم». تُنهي إجابتها بالقول إنّ المخرج اختارها وزميلها لأنّهما ألمانيان ولأنّه مُعجبٌ بأدائهما، مُضيفةً: «الأمر مختلف بالنسبة إليّ، بسبب المسؤولية التي أشعر بها».

ساندرا هولر: لا لأنسنة شخصية شريرة كالمرأة النازية (أندرياس رانتز/Getty)

ألان دولون وصراع الأبناء: الشيخوخة حماية؟

صراعٌ بين أفراد عائلة واحدة، ولكلّ فردٍ هدفٌ وطموح. ألان دولون، الذي سيبلغ 89 عاماً في 8 نوفمبر/ تشرين الثاني 2024، يواجه تحدّياً كهذا، فابنته أنوشكا (1990) «تسيطر» عليه، وتُبعده عن أنتوني (1964) وآلان . فابيان (1994)، ما يدفع الأول تحديداً إلى محاولةٍ، عبر القضاء، لتجنيب والده عزلةً كهذه، في سنٍّ يبدو فيها غير قادر على المواجهة، وخوض اختبارات جديدة، عطفاً على أنّه، كما يتردّد، شبه عاجز عن التحكّم بأمور شخصية ذاتية.

للممثل حضور طاغٍ، خارج الشاشة أيضاً. سطوته جبّارة. وسامته جاذبة. علاقاته النسائية فعلٌ حياتي. عشقه قليلات للغاية معروفٌ. أحواله ممتازة، فالمال وفير، والعيش في سويسرا يُجنّبه دفع ضرائب باهظة لدولته. في كتاب، يجهد دولون، الرجل والفنان، في منع صدوره، فيبوء جهده بالفشل، تُذكَر وقائع تقول إنّ له ارتباطاً برجال عصابات شرق أوروبية، وإنّ حارساً شخصياً له «يُتَّهم» بالقتل. قراءة «أسرار دولون» لبرنار فيولي («فلاماريون»، 2000) ممتعةٌ، رغم «أهوال» وحقائق غير متوقّعة، ربما، لكثيرين وكثيرات، أو غير معروفة لهم ولهنّ. يَرد في الكتاب حكاية نزاع، حاصل قبل سنين مديدة، بين الممثل، الذي له أعمالٌ تجارية متنوّعة، وابنه أنتوني، إلى حدّ أنّ الممثل يمنع ابنه، قضائياً، من استخدام «لوغو» A.D. في أعماله التجارية الخاصة، لأنّ الحرفين الفرنسيين يُحيلان إلى آلان أيضاً، بينما الابن يريدهما انعكاساً لاسمه (Alain وAnthony، واسم العائلة Delon).

في سرد تلك الحكاية، التي «ينتصر» آلان فيها على أنتوني، قسوة غير مُحتَملة، لرجلٍ غير آبهٍ إلّا بنفسه ومصالحه. أو ربما هكذا توحي كيفية السرد، لا مضمونه فقط. شرسٌ هو، وإنْ يكن ابنه ضحية شراسته. الجانب العاطفي في الأب ماثلٌ للعيان، في الكتاب نفسه، كما في العدد الخاص (26) لـ«باري ماتش» (مجلّة أسبوعية فرنسية)، الصادر في يناير/ كانون الثاني . فبراير/ شباط 2017. تناقضٌ مُخيف، رغم «صدق» الجانبين في شخصيةٍ، يصعب حصرها في أوصافٍ، مع أنّ أوصافاً عدّة تُلائمه تماماً.

> حياة حافلة بملذّات وأهوال وشيخوخة يصيبها نزاع عائلي

الصراع العائلي الراهن قاس. لعلّ شيخوخة الرجل، التي تُبعده عن العالم المحيط به، أفضل حصانةٍ لمن يرى الموت مقبلاً، من دون تحديد موعدٍ ثابت. لكنْ، أيساعده انفصاله عما يُحيط به، بسبب مرضٍ أو شيخوخة، في تجنّبه خوض تجربة الصراع بين ابنة وابنين؛ أمْ أنّ في ذات الرجل وروحه بقايا شراسةٍ، تؤهّله لمواجهة الجميع، من دون رحمة؟ أتكون الشيخوخة حاجزاً يحول دون انخراطٍ قاسٍ في معركةٍ، يحقّ له أنْ يخوضها «دفاعاً» عن مصالحه، كما عن ذاته؟ أيصلح المرض، إنْ يكن هناك مرضٌ، في حماية فنان من تورّط في نزاعات بين «إخوة . أعداء»؟ أمْ أنّ للرجل . الفنان، إنْ يكن واعياً بشكل كامل، ما يكفي من أدوات، لاستعادة فصولٍ من سيرة، لعلّه «يحنّ» إليها (الفصول)، أي تلك التي تُظهره «قائداً» يتحكّم بكلّ شيءٍ، في محيطه، وفي خارج محيطه أيضاً؟

يُمكن لتساؤلات كهذه ألا تنتهي. اللحظة الراهنة تسمح بهذا. لكنّ آلان دولون، أيّاً تكن حالته، الصحيّة . العقليّة، يبقى أحد أهمّ صانعي جزءٍ أساسي من تاريخ السينما الفرنسية، أساساً، ومن ذاكرة أفراد وجماعات، ومن حكاية أناسٍ يُدركون أنّ وعياً معرفياً لهم ولهنّ حاصلٌ، بجانب منه طبعاً، بفضل اشتغالاته السينمائية، وإنْ تكن بعض أفعال الرجل فيه غير مقبولة من كثيرين وكثيرات.

ندي...

آلان وانتوني دولون في جنازة جان . بول بلموندو، في 10 سبتمبر 2021 (لوران فيتور/Getty)

أقوالهم

منذ تلك الليلة (وفاة عمر خورشيد، في 29 مايو/ أيار 1981 . المحرّر) وإلى اليوم، فقدتُ الطمأنينة والاستقرار. بات الخوف نديماً لي، ورفيقاً يلازمني لحظةً بلحظة. تأكّد في داخلي أنّه بقدر نجاحي، يزداد خوفي ويتراكم فيّ قلق أكبر. كلّ إنسان يحقّق نجاحاً، في أغلب الأحيان. أما أنا، فلا أريد أنْ أبلغ مرحلة النجاح الباهر. لهذا كلّه، قرّرت الاعتزال، لأنّي أخشى الموت.

مديحة كامل

في مدينتي نيويورك، أتمشّى دائماً في شوارعها وحدائقها، وأجلس في مقاهيها ومطاعمها. سبب ذلك؟ أريد أنْ أراقب الناس الذين يمشون مثلي ويجلسون مثلي، وأنْ أعاين كيف يتصرّفون. إذا كنتَ لا تجيد مراقبة الناس بعين الممثل، فلا مستقبل لكَ في عالم التمثيل.

روبرت دي نيرو

أفعالهم

Cocorico لجوليان إيرفي، تمثيل كريستيان كلافيه و**ماريان دونيكور** (Getty): عشية زواجهما، يُقرّر فرنسوا وأليس لَمّ شمل عائلتيهما. لديهما هدية: اختبارات الحمض النووي، ليتمكّن الجميع من اكتشاف أصول أسلافهم. لكنّ المفاجأة تفشل مع اكتشاف عائلتي بوفييه سوفاج، الأرستقراطية الكبيرة، ومارتينز، الأكثر تواضعاً، نتائج غير متوقّعة.

Marinette لـ **فرجيني فيرّييه** (WireImage): منذ صغرها، تعشق مارينيت بيشون كرة القدم. والدتها شجاعة للغاية، إذْ عليها مواجهة زوج عنيف، ومع هذا تتغلّب على صعوبات جمّة. تعمل مارينيت في وظائف مختلفة، قبل اختيارها للمنتخب الفرنسي، ثم يكتشفها نادٍ رياضي أميركي، فتسافر مع والدتها إلى الولايات المتّحدة، لتحقيق حلمها بأنْ تُصبح أفضل لاعبة في العالم.

أخبار

◆ قبل أيام، أعلن كارلو شاتريان، المدير الفني لـ«مهرجان برلين السينمائي»، عن الاختيارات النهائية للأفلام المتنافسة في المسابقة الرئيسية، وفي غيرها من المسابقات والبرامج الخاصة بالدورة الـ74، المُقامة بين 15 و25 فبراير/شباط 2024. في المسابقة الرئيسية، هناك 20 فيلماً، بينها وثائقيان اثنان، وفيلمان آخران سيكونان أول إخراج، و6 لمخرجات، و6 لمن شارك سابقاً في المسابقة نفسها. الأفلام المختارة تمثّل نحو 30 دولة مُشاركة في إنتاجها: «فخورون باختيارات هذا العام، التي تُحقّق أفضل توازن ممكن بين مخرجين نعتزّ ونُعجَب بهم، وأصوات جديدة منتمية إلى السينما المستقلّة». كما أوضح، بعد سؤال عن التوليفة المختارة، وحضور أفريقيا هذا العام، وغيرها من الدول الغائبة عن دورات العام الماضي، أن ما «يدفعنا إلى الاختيار تنوّع القصص، وكيفية سردها، وأكثر من ذلك، تعدّد الأساليب وتنوّعها، بهدف إظهار الإمكانيات الواسعة للّغة السينمائية».

◆ يُكرِّم «مهرجان برلين السينمائي»، في الدورة نفسها، المخرج الأميركي مارتن سكورسيزي، «أحد أهمّ وأبرز مخرجي الأفلام عالمياً، منذ سبعينيات القرن العشرين، بمنحه جائزة «الدبّ الذهبي» الفخرية، في احتفال يُقام في 20 فبراير/شباط الجاري، في مسرح «قصر المهرجان»، يليه عرض The Departed، الذي أنجزه عام 2006، ومثّل فيه جاك نيكلسون وليوناردو دي كابريو ومات دايمون. في هذا الإطار، أصدر الثنائي ماريي ريسنبيك (المديرة التنفيذية) وكارلو شاتريان (المدير الفني) بياناً أكّدا فيه أنّ سكورسيزي «نموذج لا مثيل له لكلّ من يعتبر السينما فنّ ابتكار قصة شخصية وعالمية، في آن واحد». أضافا أنّهما تأثّرا بأفلامه كمُشاهِدَين، وبشخصياتها، وأنّهما «مسروران» لأنْ يستقبلا مُجدداً «صديقاً دائماً ومخلصاً للمهرجان»، وأنْ يمنحاه أهم جائزة فخرية في المهرجان. يُذكر أنّ مارتن سكورسيزي حقّق أفلاماً يصفها نقّاد عديدون بأنّها «جادّة وعميقة»، وأنّه اشتهر بتعاونه مراراً مع ممثلين دائمين، كروبرت دي نيرو وليوناردو دي كابريو، في أفلامٍ عدّة له، من بين نحو 70 فيلماً، فاز بفضل بعضها بجوائز عدّة، أهمها «السعفة الذهبية» لمهرجان «كانّ» السينمائي، في دورته الـ29 (13 . 28 مايو/أيار 1976)، عن رائعته «سائق التاكسي». جديده، «قتلة زهرة القمر» (2023)، لا يزال يثير نقاشات مختلفة، لكونه يروي حكاية واقعية عن «ابادة» قبيلة من الهنود الحمر، قبل سنين مديدة.